شرح قصيدة كن بلسما

بعد أن تحدثنا عن الشاعر إيليا أبو ماضي كاتب قصيدة كنْ بلسمًا، سوف نلقي الضوء فيما يأتي على أبيات هذه القصيدة وشرحها، وهي قصيدة تتألف من اثنين وثلاثين بيتًا كتبها الشاعر على البحر الكامل، فيما يأتي نذكر أشهر أبياتها ونشرحهم بالتفصيل:

- **كُن بَلسَماً إن صارَ دَهرُكَ أَرقَما / / / وَحَلاوَةً إن صارَ غَيرُكَ عَلقَما**
  إنَّ الحَياةَ حَبَتكَ كُلَّ كُنوزِها / / / لا تَبخَلَنَّ عَلى الحَياةِ بِبَعضِ ما
  أَحسِن وَإِن لَم تُجزَ حَتّى بِالثَنا / / / أَيَّ الجَزاءِ الغَيثُ يَبغي إِن هَمى
  مَن ذا يُكافِئُ زَهرَةً فَوّاحَةً / / / أَو مَن يُثيبُ البُلبُلَ المُتَرَنِّما

يبدأ الشاعر إيليا أبو ماضي هذه القصيدة بالدعوة إلى التفاؤل وحسن التعامل مع الحياة، فيقول: كن الدواء والشفاء إذا صار هذا الدهر مليئًا بالأمراض والأسقام، وكن الأشياء الجميلة والحلوة إن صار هذا الدهر مليئًا بالمرارة، فهذه الحياة منحتك كل ما فيها من كنوز، لذلك لا تبخل عليها بالقليل منك، بالقليل من السعادة والحلاوة والجمال، وكن محسنًا مع الآخرين حتّى لو لم تلق منهم أيّ جزاء ولا ثناء، فماذا يرجو المطر من الجزاء عندما يهمي على الناس، ومن هو الذي يستطيع أن يكافئ الزهرة الفواحة بالعطر ومن هو الذي يستطيع أن يكافئ البلبل الذي يترنم على الأشجار فيطرب الناس بأحلى الألحان وأعذب الشدو.

- **يا صاحِ خُذ عِلمَ المَحَبَّةِ عَنهُما / / / إِنّي وَجَدتُ الحُبَّ عَلَماً قَيِّما**
  لَو لَم تَفُح هَذي وَهَذا ما شَدا / / / عاشَت مُذَمَّمَةً وَعاشَ مُذَمَّما

ثم يتابع الشاعر النصح؛ فيقول: يا صاحبي خذ من الزهرة الفواحة ومن البلبل المترنم علم المحبة، فالحب علم قيم لا مثيل لها في هذه الحياة، وفي النهاية لو لم تفح الزهرة بالعطر ولو لم يشدُ الطائر بأجمل وأعذب الألحان لعاشت الزهرة مذمومة مكروهة وعاش الطائر مذمومًا مكروهًا، فالحب والسعي إلى البذل دون مقابل هو الذي يمنح الإنسان قيمة ويمنحه الجمال.

- **أَيقِظ شُعورَكَ بِالمَحَبَّةِ إِن غَفا / / / لَولا الشُعورُ الناسُ كانوا كَالدُمى**
  أَحبِب فَيَغدو الكوخُ كَوناً نَيِّراً / / / وَاِبغُض فَيُمسي الكَونُ سِجناً مُظلِما
  ما الكَأسُ لَولا الخَمرُ غَيرُ زُجاجَةٍ / / / وَالمَرءُ لَولا الحُبُّ إِلّا أَعظُما

يقول الشاعر إيليا أبو ماضي في هذه الأبيات: أيقظ الشعور بالمحبة الذي يبيت في داخلك إذا رأيته في يوم من الأيام قد غفا، فلولا هذا الشعور لصار الناس دمى لا حس فيهم ولا إنسانية، فالإنسان يتميز عن سائر الكائنات بأنّه يشعر بالحب، ثم يدعو الشاعر إلى الحب فيقول: أحبب لكي يصير البيت الصغير الذي تسكن فيه كونًا مضيئًا فسيحًا، وإذا أبغضت أو كرهت سوف يصير هذا الكون مثل السجن المظلم، فما تنفع الكأس من غير الخمر الذي فيها، ما هي إلّا كأس زجاجية لا فائدة منها، والإنسان بلا حب هو عظام لا فائدة منها.

- **لَو لَم يَكُن في الأَرضِ إِلّا مِبغِضٌ / / / لَتَبَرَّمَت بِوُجودِهِ وَتَبَرَّما**
  لاحَ الجَمالُ لِذي نُهىً فَأَحَبَّهُ / / / وَرَآهُ ذو جَهلٍ فَظَنَّ وَرَجَّما
  لا تَطلِبَنَّ مَحَبَّةً مِن جاهِلٍ / / / المَرءُ لَيسَ يُحَبُّ حَتّى يُفهَما

يقول الشاعر: إنه إذا لم يكن في هذه الأرض إلّا شخص كاره أو مبغض، لتبرمت الأرض بوجوده أي استاءت وضجرت منه، ولضجر هو أيضًا، ثم يقول: إنّ الحب لاح وظهر لمن له عقل فأحبه، ولاح للجاهل فكرهه، فليس على الإنسان أن يطلب المحبة من شخص جاهل، لأنّ الإنسان لا يمكن أن يُحبّ حتّى يعرف قيمة الحب ومكانته وأهميته.

- **يا مَن أَتانا بِالسَلامِ مُبَشِّراً / / / هَشَّ الحِمى لَمّا دَخَلتَ إِلى الحِمى**
  وَصَفوكَ بِالتَقوى وَقالوا جَهبَذٌ / / / عَلامَةٌ وَلَقَد وَجَدتُكَ مِثلَما

يبدأ الشاعر في هذه الأبيات بوصف المندوب البطريركي المطران ثيودوسيوس أبو رجيلي، هذا الرجل الذي كان يدعو للسلام ويبشر بالسلام، ثم يقول: لقد وصفوك أيها الرجل العظيم بالتقوى والحنكة والدعاء والعلم، فلمّا عرفتك وجدتك مثلما وصفوك تمامًا.

- **لَفظٌ أَرَقُّ مِنَ النَسيمِ إِذا سَرى / / / سَحَراً وَحُلوٌ كَالكَرى إِن هَوَّما**
وَإِذا نَطَقتَ فَفي الجَوارِحِ نَشوَةٌ / / / هِيَ نَشوَةُ الروحِ اِرتَوَت بَعدَ الظَما
وَإِذا كَتَبتَ فَفي الطُروسِ حَدائِقٌ / / / وَشّى حَواشيها اليَراعُ وَنَمنَما
وَإِذا وَقَفتَ عَلى المَنابِرِ أَوشَكَت / / / أَخشابُها لِلزَهوِ أَن تَتَكَلَّما
إِن كُنتَ قَد أَخطاكَ سِربالُ الغِنى / / / عاشَ اِبنُ مَريَمَ لَيسَ يَملُكُ دِرهَما

في هذه الأبيات يمدح إيليا أبو ماضي المندوب البطريركي المطران ثيودوسيوس أبو رجيلي، فيقول عنه: إنه لفظ أرق من النسيم في سريانه في وقت السحر، وحلو كالنعاس حين يأتي خفيفًا ناعمًا في المساء، وإذا نطقت ففي سماع كلامك نشوة تشبه نشوة الشّرب بعد الظمأ والعطش الشديد، وإذا كتبت فكلامك وكتاباتك كالحدائق الغناءة، وإذا وقفت على منبر تخطب بالناس، حنّ خشب المنبر إليك وكاد أن يتكلم لشدة حنينه، وإذا وصفت بأنك فقير ولم تجمع المال ولا الثروة، فهذا ليس نقصًا ولا عيبًا، لأنّ المسيح عيسى ابن مريم عاش حياته في فقر لا يملك درهمًا واحدًا، ولكن تمكن من نشر الحب بين الناس ومساعدتهم على نشر السلام والمحبة.